سكرة الموت

الأسس الطبية والعدالة السماوية

د. عماد الدين حسين محمد

استشاري جراحة المخ والأعصاب



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : سكرة الموت

المؤلف : د. عماد الدين حسين محمد

رقم الإيداع :



Tokoboko 5@yahoo.

الطبعة الأولى 2014

فهرس

مقدمة

الموت حدث جلل بكل ما له من قدسية وما يسبقه وما يتبعه من أمور فى مقدورنا أن نعلم عنها شيئا، وأمور من الغيبيات الخارجة عن قدرات البشر.

و للتفكر فى الموت تراث عظيم فى الشرق عامة وفى مصر خاصة، وكان السبق بلا جدال لقدماء المصريين وآثارهم خير شاهد ودليل، ثم جاء المسيحيون فنرى ذكر الموت فى أسفار الكتاب المقدس وإصحاحاته حوالى 331 مرة، أى الدعوة إلى كثرة التفكر فى الموت موجودة ومطلوبة.

وتبعهم المسلمون حيث ذكر لفظ الموت ومشتقاته فى القرآن الكريم 165 مرة، وأيضا الأحاديث الشريفة ومن أشهرها : **«أكثروا من ذكر هادم اللذات» أى : الموت.**

نعم الشرق مهبط الديانات وبه قدر عظيم من دفء الروحانيات، ولكننى – مثل كثيرين – لا نرى فيه مظاهر الرعاية والا ستثمار الكافى لهذا الإرث العظيم، فنتحدث كثيرا ونعمل قليلا، يتـ صارع الـ شرق ويتقدم الغرب . راجعوا معى تلك الأنشطة الثقافية العظيمة القادمة من الغرب:

1- فى عام 1901 ظهر علم درا سة الموت والاحتـ ضار Thanatology. الموت = death = Thantos

2- فى عام 1970 أسست مجلة علمية تحت عنوان النهاية: الموت والاحتضار :Omega Journal of Death and Dying. وأوميجا هى آخر حروف الهجاء اليوناني وتشير إلى النهاية.

3- تبع ذ لك ظهور مجـلة أخرى باسم مجـلة علم الموت والاحتضار Journal of Thanatology.، ومجـلة مختصة بالتوعـية والتثقيف بعلم الموت Journal of Death Education.

4- ثم بحوث ودراسـات عن تجر بة الاقتراب من الموت-Near Death Experience .Circum Thanatology

❖ و الإنصـاف يسـتدعي الاعتراف أن بالغرب قدرا أكبر من التقدم التكنولوجي والنظام ورعاية العقول والخبرات الثقافية، ولكن لا يجب أن ينسى أو يتناسى كل من وهبه الله قدرا ولو ضئيلا من العلم أن عليه واجبًا كالفرض يتمثل فى إحياء تراثه والنهوض ببلده.

❖ و بحكم عملى فى مجال جراحة المخ والأعصـاب، فلقد أمضـيت عشـرات السـنوات بين المرضى فى مرحلة الاحتضار سواء ما يتعلق فيها بإصابات المخ المختلفة أو بالأمراض العامة التى تؤثر على كفاءة عمل المخ، حتى يصل المخ إلى تلك اللحظة أو المرحلة التى وجدت أن أدق وأكمل وصـف لها تلك الكلمات الرائعة التى جاء بها الحق جل جلاله فى سـورة ق [سـكرة الموت]، استوقفتنى هذه الكلمة كثيرا ، أنه سحر البيان وبلاغة القرآن فى كلمة هى بكل المقاييس إعجاز إلهي، فقد ذكرها عيسى عليه السلام ثم سيدنا محمد ﷺ.

❖ ﴿ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ١٩ ﴾. إنها الخطوة الأولى فى عبور بوابة الموت للانتقال إلى ما كنت تستنكر حدوثه، وقد اختلف المفسرون هل المخاطب فى هذه الآية هو المؤمن أم الكافر؟ والإجماع يشير إلى أن المخاطب هو الإنسان وكل إنسان.

❖ و السـكرة بمعناها اللغوي: حالة غياب التركيز المعتاد للعقل وما يتبع ذلك من أقوال وأفعال تشـير إلى اختلال واضـح بالاتزان العقلى المعتاد لهذا الإنسـان، ولكن فى بعض المصـادر تعدى هذا المعنى إلى الشدة والألم بل العذاب عندما قرنت السكرة بالموت. هل حقا سكرة الموت تعنى الشدة والألم والعذاب أم أننا تناقلنا هذا التفسير البشري ولم نعطه القدر الكافي من التفكير؟

❖ حول هذا السؤال سيكون محور كتابنا والله الموفق.

د. عماد الدين حسين محمد

المنصورة – يناير 2014

معنى كلمة سكرة

مادة الكلمة (سكر) والسكر حالة تفرق بين المرء وعقله وأكثر ما تكون فى العشق أو المدامة (الشراب المسكر)، ولذا قال الشاعر:

سكران سكر الهدى وسكر مدامة

أنى يفيق فتى به سكران

و فى الشعر الحديث اشتهر بيت الشاعر د. إبراهيم ناجى بصوت كوكب الشرق السيدة أم كلثوم :

هل رأى الحب سكارى مثلنا

وفى لسان العرب : السكر نقيض الصحو،

وفى المعجم الوسيط: غيبوبة العقل واختلاطه

و مع تقدم الطب وظهور التخدير والعقاقير المهدئة، بدأ بعض العلماء يفسر السكرة بحالة تخدير غير كاملة، حيث تعمل العقاقير على تعطيل مراكز الوعي Awareness والإفاقة Consciousness بالمخ وهى الصورة التى نراها فى مراحل الاحتضار قبل الموت الكامل.

سكرة الموت :

هنا تدرج التفسير كالآتي :

1- الهذيان وضعف التفكير وتشتيت الأفكار.

2- الشدة والمعاناة الجسمانية والنفسية .

3- الألم بدرجاته المختلفة.

4- العذاب بصوره المعروفة والغير معروفة.

❖ وفى مختار الصحاح وتفسير البيضاوى وغيرهما ما يشير إلى أن سكرة الموت تعنى ما يصحب عملية الموت من شدة تذهب بالعقل.

❖ وقد اجتهد الإمام الغزالى فى تفسير سكرة الموت قائلا: «إذا بقيت فيه قوة سمعت له عند نزع الروح وجذبها خوار وغرغرة من حلقه و صدره، ثم يموت كل عضو من أعضاءه تدريجيا، فتبرد أولا قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه، ولكل ع ضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها إلى الحلقوم ومعها تنقطع علاقته بالدنيا ».

❖ و بالانجليزية حصلت كلمة السكرة على عدة ترجمات منها :

Stupor – Unconsciousness – Semi coma – Confusion – Delirium – Hallucination – Drunk state

و لم يكن بينها أى إشارة إلى كلمات الألم Pain أو العذاب Severe Penalty



صور ودرجات السكرة

اليقظة تعنى: الوعي والانتباه والإدراك والقدرة على الحركة والإحساس الطبيعي بما فى ذلك الحواس الخمسة، فإذا ما جاءت السكرة تأثر كل هذا بصور ودرجات مختلفة وصفها الإمام الغزالى منذ قرابة ألف عام قائلا: « انقطع صوت الميت وصياحه مع شدة ألمه لأن الكرب قد بالغ فيه وتصاعد على قلبه وبلغ كل موضع عنده، فهدّ كل قوة وضعَّف كل جارحة فلم يترك له قوة الاستغاثة، أما العقل فقد غشيه و شوشة وأما اللسان فقد أبكمه وأما الأطراف فقد أ ضعفها، ويود لو قدر على الاستراحة بالأنين والصياح والاستغاثة ولكنه لا يقدر على ذلك».

ما أعظمك يا غزالى وأنت تحيط بجوانب السكرة كما نراها اليوم فى جداول مقياس الغيبوبة القادمة من الغرب والتى تكاد تحتوى على نفس العناصر التى ذكرها الإمام وهى اللسان والصوت

Verbal response والأطراف والقوة Motor response وأيضا وشوشة العقل

Loss of consciousness ، hallucinations (Visual – Auditory – Olfactory – Taste – Somatosensory)

و هناك المقياس المصغر لقياس القدرة الذهنية Mini-Mental Scale، ومقياس جلاسجو للغيبوبة Glasgow Coma Scale، ومقياس أدنبرة للغيبوبة Edinburgh Coma Scale ، ومقياس مستوى رد الفعل العقلي Reaction Level Scale

و كلها تضم العناصر التى وصفها الإمام الغزالى ولكنها تزداد فى بعض الاختبارات مثل أسلوب فتح العينين (تلقائي – للأمر اللفظي – للمؤثر المؤلم – لا توجد استجابة أى العينين مغلقتين تماما). أيضا وضعت أرقام لكل طريقة استجابة لكى يسهل معرفة مستوى تلك السكرة أو الغيبوبة بجمع ما يحصل عليه كل مريض من أرقام للاستجابات والاختبارات المختلفة.

استخدام الأجهزة الحديثة لقياس مستوى السكرة أو الغيبوبة :

1- رسم المخ EEG: يقوم هذا الجهاز بتسجيل كل الأنشطة الكهربائية الصادرة من خلايا المخ ومقارنتها بالنشاط المعتاد، وبالطبع كلما كانت الا ستجابة ضعيفة دل ذلك على ضعف نشاط المخ حتى نصل إلى مرحلة التوقف الكامل Flat EEG

2- اختبارات أخرى تجرى على مرضى موت المخ مثل الاستجابة المستثارة لجذع المخ Brain Stem Evoked Potential

3- اختبارات الدورة الدموية المخية بالطرق المختلفة مثل الرنين المغناطيسي MRA والموجات الفوق صوتية Transcranial Doppler.



الأمراض الشائعة المصحوبة بالسكرة والتي قد تسبب الموت

قد يظن القارئ أن هذا العنوان خروج عن محور الكتاب، ولكننى أراه فى أهم موقع حيث أن ما يحدث بالجسم من الناحية الطبية هو ما يسبب السكرة كما سنشرح ذلك فى الباب التالي.

1- الأمراض التى تصيب كل أجهزة الجسم Systemic Illness:مثل الالتهابات الشديدة والفشل الكبدي والفشل الكلوي الحاد وهبوط القلب الشديد أو الذبحة الصدرية وقصور وظائف الرئتين بسبب الجلطات أو الالتهابات واختلال نسب أملاح الدم (كالسيوم – صوديوم – بوتاسيوم)

2- الاضطراب الشديد لوظائف الغدد الصماء Endocrinopathies : وخاصة الغدة أعلى الكظرية ثم الكظرية والنخامية والدرقية والجار درقية، ويمكن إضافة غدة البنكرياس ومرض السكرى وما ينتج عنه من مضاعفات وخاصة الغيبوبة التى قد تكون قاتلة .

3- مرض السرطان فى مراحله المتأخرة Advanced Cancer: بعد فشل كل الوسائل الجراحية والإشعاعية والكيميائية فى وقف نشاطه.

4- التهابات الجهاز العصبي المركزي CNS infections: سواء أكان التهاب خلايا المخ أو الالتهاب السحائي أو الاثنين معا .

5- أمراض المخ الأخرى Brain Lesions: بالإضافة إلى الحوادث والالتهابات فهناك الأورام والنزيف الدموي والجلطات وكلها قد تصبح مميتة فى المراحل المتقدمة التى يفشل فيها العلاج.

6- أمراض سوء التغذية Malnutritional Diseases: وتؤدى إلى تدهور حالة الإنسان إذا نقصت بنسب كبيرة فتتأثر معها وظائف الخلايا.

7- حالات التسمم Intoxication : هناك أنواع كثيرة من السموم ويضاف إليها بعض الأدوية قد يكون لها تأثير ضار يصل إلى السمية ، ناهيك عن تأثير الكحوليات وعقاقير الإدمان.

8- الاضـطرابات النفسـية Psychiatric Disorders: كالجنون وانفصـام الشـخصـية وبعض حالات الاكتئاب.

9- مجموعات متنوعة Miscellaneous : مثل ضربات الشمس الحادة والصدمات الكهربائية والحرمان من النوم لمدد طويلة.

10- مجموعات السـكرات المتكررة Paroxysmal Episodic impairment of Consciousness :

هذه مجموعة هامة وقد يضعها البعض مستقلة عن الأسباب السابقة وتشمل :

1- التشنجات العصبية (أدوار وأنواع الصرع المختلفة Epilepsy).

2- نوبات الإغماء Syncopal Attacks ، حيث يقل النبض وينخفض ضـغط الدم لأسـباب تتعلق بالأعصاب أو الجهاز الدوري.

3- بعض نوبات الصداع النصفي Migraine .

4- القصور المؤقت للدورة الدموية المخية نتيجة مرض الضغط أو مرض السكرى Transient Ischemic Attacks .

5- أعراض ما بعد الارتجاج فى حوادث إصابات الرأس Post-Concussion.

6- بعض الحالات النفسية وادعاء الغيبوبة Psychosomatic، Somatization disorders



ما يحدث للمخ ويسبب السكرة

تبدأ مظاهر السكرة عندما تتأثر درجة اليقظة، وعن اليقظة هذه قد يتعجب البعض عندما يعلم أن التفاصيل الكاملة لتلك الوظيفة للإنسان غير معروفة حتى يومنا هذا، ولكن اجتهادات العلماء توصلت إلى مناطق أو محطات أساسية بالمخ يجب أن تكون طبيعية 100٪ حتى لا تتأثر درجة اليقظة الكاملة للإنسان، وهذه المناطق هى :

1 - القشرة المخية Cerebral Cortex وخاصة فى الفص الأمامي Frontal، ثم الجداري Parietal، ثم الصدغي Temporal، وأخيرا القفوي Occipital.

2 - التكوين الشبكي الصاعد Ascending Reticular Formation والذى يتواجد أساسا فى جذع المخ ولكن له اتصال وثيق بين قشرة المخ وما تحتها من طبقات، ثم أجزاء أخرى من المخ والنخاع الشوكي Subcortical .

3 - غدة المهاد وتحت المهاد Thalamus and Hypothalamus تمثلان أيضا محطات رئيسية فى تواجد اليقظة الطبيعية إلى جانب وظائفها الأخرى المتعددة.

4 - و قد يكون هناك أجزاء أخرى غير معروفة حتى وقتنا هذا.

و كل هذه محطات وحلقات تعمل بتناسق تام ويلزمها أن تكون بحالة جيدة جدا بل وممتازة لكى تعطينا درجة اليقظة المطلوبة، وهذا يعنى أن أى إصابة أو خلل فى أى جزء سوف يؤثر على مستوى درجة اليقظة أى يؤدى إلى صورة من صور السكرة وبدرجات متفاوتة حسب شدة الإصابة أو المرض.، والتأثير لا يأتى فقط من الجزء المصاب ولكنه يمتد إلى بقية أجزاء المخ نتيجة تأثر الشبكة العصبية والموصلات الكيميائية والأوعية الدموية.

إذًا ما الذى يسبب السكرة عند حدوث المرض ؟

1. اختلال عمل الموصلات الكيميائية المسؤولة عن نقل الإشارات العصبية.

وهناك ثلاث مجموعات رئيسية لتلك المواد الحاملة للإشارات العصبية Chemical Transmitters :

- مشتقات الكولين Cholinergic.
- المجموعة الأحادية Noradrenergic – Dopaminergic – Serotonergic
- مجموعة حامض الجامابيوتريك GABA-ergic.

و مرض الإنسان الشديد سوف يؤدى إلى تأثر تلك المواد كما وكيفا، فتصير الإشارات بتعثر وعدم إتقان وكأنها شاشة تلفاز تتلقى إشارات مشوشة فتظهر الصورة مشوشة بدلا من الإشارات النقية القوية التى تعطيك صورة واضحة.

2. التأثير المباشر على الخلايا العصبية كأن تهاجمها الفيروسات مثل حالات التهاب المخ الفيروسي، أو بالسموم المختلفة التى تنتقل إلى الخلايا عبر الدورة الدموية.

3. التأثير على الأوعية الدموية المخية الدقيقة وما يتبع ذلك من :

- تعطل سريان الدم بالدرجة الكافية لعمل تلك الخلايا بصورة طبيعية.
- تنهار كفاءات جدار الخلايا وتتغير نسب الأملاح مثل الصوديوم والبوتاسيوم داخل وخارج الخلايا ويسبب ذلك اضطرابا شديدا.

4. التورم المائي للمخ Cerebral Edema : وقد يكون ذلك نهاية المطاف لأسباب تم ذكر بعضها ويتبع ذلك درجات متفاوتة من الهذيان أو الهياج أو المزيج من الإثنين، ومع الحالات المتقدمة تبدأ صور الغيبوبة بدرجاتها المختلفة فى الظهور.



الجانب النفسي للسكرة

الخوف غريزة لدى الإنسان فما بالك إذا تعلق هذا الخوف بأمر جلل هو الموت؟.. فراق الأهل والمال والولد... ترك الحياة وملذاتها وعبور بوابة الموت لمجهول لا يدرى ما الله قاض فيه... لحظة فارقة وموقف مهيب... مضى العمر حيث عمل ولا حساب وجاءت اللحظة حيث حساب ولا عمل... ماذا قدمت يداى؟ كيف أفنيت عمرى وأنفقت مالى؟ كم مرة عصيت ربى وما هو جزاء هذا العصيان؟ قبرى ينتظرنى فهل هو روضة من رياض الجنة أم حفرة من حفر النار؟

هذا وغيره هو حديث النفس- وكل نفس- سواء كانت نفس نبي أو رسول اصطفاه الله أم كافر عاص عنيد مكابر، وما بين الصالحين والضالين مراتب متباينة فى درجة قربها أو بعدها عن الإيمان، وقد تختلف انفعالاتهم فى تلك الأوقات العصيبة بعوامل مثل العمر والجنس ودرجة التدين والمستوى الثقافي والاجتماعي ثم ثقافة البيئة التى يعيش فيها والمهنة التى كان يؤديها.

و قد تطول فترة الاحتضار Dying التى تسبق الموت Death أو تقصر حسب شدة المرض أو الإصابة ، وما يتبع ذلك من معاناة مصحوبة بيأس وقنوط تظهر فى صورة أعراض نفسية مختلفة ويضاف إليها هاجس قرب الموت لتصير المحصلة سكرة أعاننا الله جميعا عليها.

العلاج النفسي الوقائي لسكرة الموت

- قال لقمان الحكيم لابنه:« **يا بنى أمر لاتدرى متى تلقاه فاستعد له قبل أن يفجأك** ».
- و قال أحد الحكماء: **كرب بيد سواك ولا تدرى متى يغشاك**
- قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣ ﴾ سورة [الطلاق].

- و فى الحديث الشــريف:«**أكثروا ذكر هادم اللذات**»،« **كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»، « **الناس نيام فإذا ما ماتوا انتبهوا**».

نعمة الإيمان الحق هى أقوى سلاح نفس وقائي لسكرة الموت، فهى تنزع الخوف والرهبة وتترك للسكينة مكانا أو سع، بل قد تجعل هذا الإنسان سعيدا مثل بلال بن رباح الذى كان يردد وهو على فراش الموت ســعيدا:«**غدا ســألقى الأحبة**». وهناك من بلغ بهم الزهد والتصــوف إلى الاشــتياق والتلهف للموت، وهناك من يجود بنفسه فى سبيل الله طائعا راضيا فيصير شهيدا ويرى من الكرامة ما يجعله يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشرات المرات.

هذه كلها نماذج إيمانية صادقة يقبلها الله فى جناته حيث لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وهذا لا ينطبق على التوبة الاضطرارية كما فى سورة النساء الآية 18 : ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾ ، وأيضا باب التوبة مفتوح ولكن إلى حين حيث قال ﷺ :« **إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»، والغرغرة هى إحدى علامات هبوط القلب حيث يتجمع الماء فى الرئتين والقصبة الهوائية حتى مستوى الحنجرة ﴿ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ ﴾ ، وفى وقتهم كانت علامة النهاية حيث لا أجهزة تشفيط أو تنفس صناعي كما هو الآن حيث يمكن إسعاف المريض لأجل محدود بإذن الله، والمقصود من الحديث طبعا كما فى الآية الكريمة عدم قبول التوبة الاضطرارية والإنسان على بوابة الموت.

و ننهى هذا الحديث، الحديث عن الجانب النفســي للســكرة بذكر أن الموت حق علينا جميعا بل هو ميلاد جديد لروحنا، وعلينا قبل فوات الأوان أن نعد العدة للصــورة التى نريدها فى تلك الحياة الجديدة.



أمور الغيب والسكرة

الكثيرون منا قد شاهد من هم على مشارف الموت أى فى مراحل الاحتضار الأخيرة وهم يرقدون فى هدوء تام وسكينة مطلقة، فيظن أن الموت أمر سهل هين وهو لا يدرى بأى حال هؤلاء، فهناك من الغيبيات ما لا نعلمه ولا سبيل لنا إلى معرفته.

يقول الحق جل جلا له فى سورة الأنعام «93»: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ غمرات الموت تذكرنا ببحر تتلاطم فيه الأمواج وتكاد تغمر كل شيء، ويحاول الإنسان مصارعة تلك الأمواج العاتية، ويستمر الصراع طال أم قصر ولكنها النهاية المحتومة ... الغرق والموت. وكذلك الظالمون فى سكرات الموت، مع بداية تذكيرهم بما قدمت أيديهم وعقاب تلك الآثام تهيج نفوسهم فزعا من هول تلك اللحظات، كالذى يصارع أمواجا عاتية يعلم أنها أقوى منه.

و قد يكون أحد أسباب السكرة هو احتمال رؤية المحتضر للملائكة وقد يكون بينهم ملك الموت، ويروى أن الملائكة تنزل على المحتضر وتجلس قريبة منه ويشاهدهم عيانا ويتحدثون عنده، وقد يدور بينهم وبين المحتضر حوار يرد خلاله بألفاظ وإ شارات أو بقلبه حيث لا يتمكن من النطق أو الإشارة، فإن كان عمله خيرا فإنه قد يشاهد أقاربه وأهله المؤمنين، وقد تريه الملائكة مكانته فى الجنة فتخرج روحه فى يسر و سهولة ويشعر بالراحة والسعادة. وإذا كان عمله فى الدنيا شرا فإنه لا يكون فى استقباله أحد من أقاربه ويشعر بالخوف والرهبة والألم وتخرج روحه بصعوبة، وقد تريه الملائكة مكانه فى النار فيزداد ألما وحسرة. إذا فالسكرة نعمة للمؤمن ونقمة للعا صي وهذا حق كل الحق كما أخبرنا المولى جل وعلا : ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ .



سكرة النوم

* النوم موتة صغرى وسكرة كبرى والارتباط بينهما بدأ مع قدماء اليونانيين حيث صوروا النوم Hypnos على أنه أخ توأم للموت Thantos (أى هبنوس توأم ثانتوس).

* و القرآن الكريم يظهر النوم والموت على أنهما حالتا وفاة كما ذكر فى (سورة الزمر الآية 42): ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾.

* و لا بد لنا أن ننام وأيضا لا مفر من الموت، وكل ليلة تأخذنا سنة النوم برفق وقد يكون وقت نومنا أجمل من وقت يقظتنا ثم نستيقظ أيضا فى هدوء وسكينة لنبدأ يوما جديدا وحياة جديدة، وكذلك الموت ندعو الله أن يأخذنا برفق وأن يجعل حياتنا فى الآخرة أجمل منها فى الدنيا.

* و الإنسان المضطرب القلق يصاب بالأرق ويظل متقلبا فى فراشه إلى أن تغمض عيناه. أما الإنسان هادئ البال مرتاح الضمير فإنه لا يكاد يصل فراشه إلا ويجد نعمة النوم فى انتظاره، وقد يذكرنا ذلك بطريقة ما بخروج روح العاصى وخروج روح المؤمن.

* أى أن هناك تشابه بين النوم والموت، أما عن الاختلاف بينهما فهو معروف للجميع.



ما بين السكرة والعذاب

1- القرآن الكريم

* فى الآية رقم 93 من سورة الأنعام: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ يقول ابن كثير: إن الكافر تبشره الملائكة بالعذاب والنكال والأغلال والسلاسل والجحيم والحميم وغضب الرحمن الرحيم، فتتفرق روحه فى جسده وتعصى وتأبى الخروج، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم، وابن كثير يفسر الغمرات بأنها سكرات الموت وكرباته.

* فى الأنفال الآية رقم 40 : ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ ، وسورة محمد الآية 27: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾﴾ ، يظهر من الآيتين

الكريمتين أن هناك نوع من العقاب الشـــديد لهؤلاء الكفار مع اختلاف المفســـرين فى كيفية هذا الضــرب ومدى شــدته، وهل هو للبدن أم للروح أم للإثنين معا، ولكنه أمر فظيع وشــأن هائل حيث حذف جواب (لو) فى سورة الأنفال واستخدمت كلمة (كيف) فى سورة محمد.

* سورة المائدة 106 : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ﴾جاء ذلك للحث على كتابة الوصية، فالموت حدث جلل ومصيبة كبرى للميت وأقاربه، ولكنه ليس فى الآية ما يشير إلى عذاب أو ألم.

* سورة الأحزاب 19 : ﴿ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾ .

* سورة محمد 20 : ﴿ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ ﴾ ، الغشاء هو الغطاء ويغشى عليه من الموت كأنه فى حالة غيبوبة أو سكرة من شدة الخوف والجزع وكأنه على مشارف الموت.

2- الحديث الشريف :

* عانى الرسول ﷺ من هذه السكرات ، ففي مرض موته كان بين يديه ركوة أو علبة فيها ماء ، فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه ، ويقول : «**لا إله إلا الله، إن للموت سكرات**» ويقول :« **اللهم هون عليّ سكرات الموت**» [أخرجه البخاري]

* وقالت السيدة عا رضي الله عنها :«**لا أغبط أحدا يهون عليه الموت بعد الذي رأيت من شدّة موت رسول الله** ».

* سئل ﷺ عن شدة الموت، فقال:«**إنَّ أهْونَ الموتِ بِمنزِلَةِ حَسَكَةٍ كانَتْ في صُوفٍ ، فهَلْ تَخْرُجُ الحَسَكَةُ من الصُّوفِ إلَّا ومَعها صُوفٌ؟** » ، والحسكة : هى الثمرة الخشنة تتعلق بأصواف الغنم وأوبار الإبل.

* عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ: «**أن الملائكة تكتنف العبد وتحبسه ولولا ذلك لكان يعدو في الصحاري والبراري من شدة سكرات الموت**» حديث ضعيف.

* حديث : « **لو أن قطرة من الموت وضعت على جبال الدنيا كلها لذابت** » حديث لم يوجد له أصل ولعل المصنف لم يورده حديثا فإنه قال : ويروى.

3- روايات متناثرة :

* إبراهيم عليه السلام: روى أن إبراهيم لما مات قال الله تعالى له:"كيف وجدت الموت يا خليلى؟ قال كسفود محمي جعل فى صوف رطب ثم جذب، فقال : أما أنا قد هونا عليك يا إبراهيم» والسفود : هو الحديد يشوى عليه اللحم أو هو الشوك.

* موسى عليه السلام: روى أنه لما صارت روحه إلى الله تعالى قال له ربه: « يا موسى كيف وجدت الموت؟» قال: «وجدت نفسى كالعصفور حين يقلى على المقلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير».

* و يروى أيضا أنه قال: « وجدت نفسى كشاة حين تسلخ بيد قصاب وهى حية» .

* ومن الروايات اليهودية: أن نفرا من بنى إسرائيل مروا بمقبرة، فقال بعضهم لبعض: لو دعوتم الله تعالى أن يخرج لكم من هذه المقبرة ميتا تسألونه، فدعوا الله تعالى، فإذا هم برجل قد خرج من إحدى القبور وبين عينيه أثر السجود وقال: يا قوم ما أردتم منى؟ لقد ذقت الموت من خمسين سنة ما سكنت مرارة الموت من قلبى.

* عيسى عليه السلام: من أقوال المسيح عليه السلام: « يا معشر الحواريين، ادعوا الله أن يهون عليكم هذه السكرة – يعنى سكرة الموت – فقد أوقفنى خوفى من الموت على الموت... أى صارت شدة خوفه تكاد تقربه من الموت وكأنها مرض شديد يلم به».

*** من التاريخ الإسلامي:**

– روى أن عمر بن الخطا ﷺ قال لكعب بن مالك : «يا كعب حدثنا عن الموت،فقال: يا أمير المؤمنين هو غصن كثير الشوك، أدخل فى جوف رجل حتى إذا أخذت كل شوكة بعرق، ثم جذبه رجل شديد فقطع ما قطع وأبقى ما أبقى».

– روى أن عمرو بن العاص عندما حضرته الوفاة أنه قال: « أشعر كأن السماء قد انطبقت على الأرض كشقى رحى وأنا بينهما، وأشعر نفسى تمر بسم الخياط وأشعر أننى كطائر يقفز على مقلاة الزيت».

– و كان و صف الحجاج بن يوسف الثقفى لسكرة الموت بأنها: غما شديدا وجهدا جهيدا وألما مضيضا .

– و قال الإمام القرطبى: « روى أن الموت أشد من ضرب السيوف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض، واعلم أن الموت هو الخطب الأفظع والأمر الأشنع، والكأس الذى طعمها أكرة وأبشع، وأنه الأهدم للذات، والأفظع للراحات، والأجلب للكربات فإنه أمر يقطع أوصالك، ويفرق أعضاءك، ويهدم أركانك، فهو الأمر الفظيع والخطب الجسيم وأن يومه لهو اليوم العظيم».

- و يقول صاحب الإحياء رحمه الله: اعلم أنه له لو لم يكن بين يدى العبد المسكين كربة ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت، لكان جديرا بأن ينغص عليه عيشه ويكدر عليه سروره، ويفارقه سهوه وغفلته، فليطيل فيه فكره ، ويعظم له استعداده، لا سيما وهو فى كل نفس بصدده.

- روايات أخرى مثل: إن للموت ثلاث آلاف سكرة ، وكل سكرة منها أشد من ألف ضربة بالسيف- لو أن الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بالموت ما نعموا بعيش ولا لذوا بنوم.

- و غيرها وغيرها ولا أحد يعلم مدى صحة كل هذا، فقد تكون أمثال تضرب وحكايات تروى وقد يكون بها قدر من الحقيقة وقدر من المبالغة، وهدفها حث البشر على الإيمان بالله والعمل الصالح استعدادا لهذا اليوم.

4- تعقيب وتحليل

بمراجعة ما ورد فى القرآن والحديث والروايات نلاحظ تدرجا واضحا فى شدة السكرة، فهى أخف ما يكون فى القرآن الكريم وتتشدد بعد ذلك فى الحديث الشريف والروايات المختلفة، وهذا يعود بنا إلى الحقيقة الأزلية بأن النص ثابت والتفسير البشري يختلف. وإذا اتفقنا جميعا وشعرنا بالراحة النفسية مما يصيب الكفار العصاة من الألم والعذاب فلماذا يصيب المؤمنين- حتى الرسل والأنبياء - قدر من هذا العذاب؟ المؤيدون لهذا يرددون بأن الله جل جلاله يريد تكميل فضائلهم ورفع درجاتهم يوم الحساب، ولذا يصيبهم بقدر من الألم وقت الموت، ويستدلون على ذلك بحديث النبى ﷺ:« **أ شد الناس بلاء فى الدنيا الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل** ». أما عن رواية سيدنا إبراهيم(إنا قد هونا عليك يا إبراهيم) فهى -فى رأيهم - رسالة واضحة أن ألم الموت سوف يشمل الجميع والشدة موجودة على الرغم من أننا نرى الموتى فى سكون تام، بلا حركة أو علامة تدل على قلق أو ألم. ولا يخفف الشدة ولا يهونها إلا الله جل جلاله، وكلما قرب العبد من ربه وارتقى فى سلم الإيمان، زادت نسبة التهوين وقل الألم . وكلما ضعف هذا الإيمان زاد الألم حتى مرتبة الكفر وهى أ سفل الدرجات وأعلى مراتب العذاب.

و يعود من يسأل – وله كل الحق فى سؤاله – لماذا يطلب عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ما يعينهما على سكرة الموت؟ هل هو تصديقهما للروايات السابقة أم عوامل أخرى؟ بالطبع لا أحد يعلم الإجابة الـ صحيحة، ولكن الأنبياء ا صطفاهم الله بـ صفات و شفافية لا تتاح لغيرهم من البـ شر، وهذا يعنى قدرتهما على معرفة ما لتلك اللحظة من معاناة سـواء كانت عضـوية أو نفسـية. ولم لا وهما أنبياء الله وقد أوحى لهما المولى برسـالة معينة إلى البشـرية وحان وقت الحسـاب، هل قاما بتلك الرسـالة كما أمرهما أم لا؟ إنها الرغبة الصـادقة أن يتقبلهما الله فى أكمل وأجمل صـورة، وكل ابن آدم خطاء وخير الخطاءين التوابون. ووقت الاحتضـار قد تتراءى لهما مشـاهد تذهب بالعقل وتأتى بالسكرة.

و يأتى سـؤال ثان له كل الاحترام وهو أنه إذا وافقنا من يؤيدون بوجود عذاب الموت، فهل هناك ثلاث مراحل للعذاب ؟ وهى :

1- **عذاب يوم القيامة**: وهو أحد الثوابت وركن من أركان العقيدة ولا خلاف عليه.

2- **عذاب القبر**: أجمع عليه الأغلبية ولم يجادل فيه إلا فرق صغيرة.

3- **عذاب الموت**: وهو أمر غير واضـح حيث لم تفرق كثير من المراجع بين السـكرة والألم والعذاب.

بل إنه طرح سـؤالا آخرا هل هى سـكرة واحدة أم سـكرات (الاحتضـار- نزع الروح – الموت) وهو سؤال ليس له إجابة فى أي من المراجع المتاحة – وفترة الاحتضار قد تكون لدقائق أو ساعات أو أيام أو أسابيع، أما نزع الروح والموت فهذا أسرع بكثير.

وسـكرة الاحتضـار لها أسـسـها الطبية التى تم مناقشـتها، أما ألم نزع الروح والموت فهما من الغيبيات، ولكن ذكر أن الروح الطيبة مثلها مثل قطرة تسـيل على جانب الوعاء بسـهولة ويسـر، أما الروح الخبيثة فتنزع مثل السـفود(الشـوك) من الصـوف المبتل وهذا هو الفارق العظيم بين خروج نفس المؤمن ونفس الكافر.

نعود إلى موضـوع العذاب بأنواعه ودرجاته الثلاث (الموت – القبر – يوم القيامة)، ويحسـم هذا الإمام الشعراوى قائلا: إنه لا عذاب إلا بعد الحساب، وإن كان الإنسان وهو فى قبره يرى مقعده من النار ومقعده من الجنة فلماذا؟ ليعرف المؤمن فضـل الله عليه لأنه نجا من النار، ويدرك هذا عندما يرى النار ولهيبها ويرى الجنة ونعيمها، هنا تحدث المقارنة بين الذى أحسـن والذى أسـاء ، فيحس المؤمن بفضل الله عليه فينشرح صدره. أما عن الكافر فيقول الحق جل وعلا فى سورة غافر الآية 46 يصف آل فرعون فى قبورهم : ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ ولكن هل يخرج آل فرعون مرتين كل يوم يعرضـوا على النار أم أنهم يعرضـون عليها وهم فى قبورهم؟ لا أحد يستطيع أن يجزم بشيء إلا أن هناك نوع من العذاب يتعرض له الإنسان فى قبره، ويكفى آل فرعون عذابا أنهم يرون النار التى سيعذبون فيها – غدوا وعشيا – لأن انتظار البلاء أشـد من وقوعه، وكلما نظروا إليها كان ذلك عذابا رهيبا. انتهى كلام الإمام ويمكننا تطبيق نفس القاعدة على عذاب الموت حيث تبدو بوادر المصـير مع الاقتراب من بوابة الموت وبوابة القبر، وتصبح الطريقة التى تخرج بها نفس هذا الإنسان هى مؤشر لباقى المصير.

و فى ختام هذا الباب هناك أمران نود الحديث عنهما :

الأول : صار جدل كبير حول الألم هل هو للروح أم للبدن أم للإثنين معا ؟ فالملاحظ أن الجثامين تظل على هيئتها بعد الموت باستثناء بداية عملية التحلل التدريجية، أى لا توجد مظاهر جسدية خارجية تشير إلى نوع من العذاب. وتصبح الإجابة أن ذلك من أمور الغيب ولا يفيدنا كثيرا أو قليلا الخوض فيه.

الثاني: علينا أن نتذكر أن وسائل العلاج المختلفة المتاحة فى عصرنا مثل المسكنات بأنواعها والمضادات الحيوية والعلاجات الجراحية والإشعاعية والكيميائية تخفف بدرجة كبيرة آلام المرض، وبالطبع لم تكن هذه متاحة فى الما ضى، أى كان الكثيرون يكابدون آلاما شديدة قبل موتهم بسبب أمراض مثل السرطان والذبحة الصدرية والسدة الرئوية و صداع أورام المخ وآلام الالتهاب البريتونى وغيرها وغيرها، مما يدفع من حولهم إلى وضعها جميعا فى سلة آلام الموت وما تبع ذلك من روايات مختلفة تم عرض بعضها.



الخاتمة

* الكثير من المصادر – إن لم تكن جميعها– لم تفرق بين السكرة والعذاب عندما يتعلق التفسير بسكرة الموت، وقد يكون مرجع ذلك أن الموت يمر على مراحل تبدأ بالاحتضار ثم نزع الروح فالموت الكامل، والسكرة فى المراحل الأولى – أى الاحتضار – لها أسسها الطبية التى تم شرحها، أما بعد ذلك فهى أمور غيبية نحتكم فيها إلى ما ورد من نصوص قرآنية وسنة نبوية وآراء فقهية، ولكن تقابلنا أحيانا نصوص تقبل الاجتهادات والتأويلات بل أحيانا الاحتيالات، لذا لا يجب أن نعتبرها نهائية وعلى المؤمن الكيس الأخذ بالحيطة ورأى الثقات من رجال الدين والعلم فى عصره.

* يقول العملاق الكبير عباس محمود العقاد فى كتابه (التفكير فريضة إسلامية): إن من أباح لنفسه أن يحرم على الناس نعمة العقل والعلم فقد اجتهد برأيه

وكأنه ينهى الناس عما أمرهم الله به من التفكير وليس فقط التقليد الذى هو صفة العاجزين، والفهم واجب على كل مسلم من مصادر الشرائع والأحكام فى الدين الإسلامى وهى ثلاثة: الكتاب والسنة والإجماع الذى يقوم به ولاة الأمر بالقياس ومراعاة المصالح بلا تعارض بين النص والاجتهاد، ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا ﴾، ﴿ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ ﴾.

* هذا هو حديث العقاد الذى دفعنى إلى التفكير طويلا فى المعنى الكبير لسكرة الموت، وأقترب عن اقتناع تام بوجود تلك السكرة فى مرحلة الاحتضار بصور ودرجات مختلفة، ولكن تجمعهما جميعا صفة أو معنى السكرة وهى الخروج عن الوضع المعتاد لهذا الإنسان فى حياته قولا أو فعلا. أما عن الألم والعذاب فلا أمتلك دليلا قاطعا للنفى أو الإثبات.

❋ و لقد كان هذا الكتاب هو حدود طاقتى وقدر اســتطاعتى فإن أصــابنى التوفيق فما توفيقى إلا بالله وإن كان هناك سـهو أو خلل أو تقصـير غير متعمد فتلك من سـمات البشـر، وندعو الله تعالى أن يغفر لنا جميعا ذنوبنا ويكفر عنا أخطاءنا ويخفف عنا سكرات موتنا.

د. عماد الدين حسين محمد

المنصورة يناير 2014

المراجع

1- الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) لمعنى كلمة سكرة.

2- مفردات ألفاظ القرآن : تأليف العلامة راغب الأصفهانى – تحقيق مصطفى بن العدوى.

3- تحفة الأديب بما فى القرآن من الغريب : تأليف الشـيخ أثير الدين أبى حبان الأندلسـي : تحقيق سمير طه المجذوب.

4- سـكرات الموت وشـدته : حجة الإسـلام أبى حامد الغزالى : دراسـة وتحقيق وتعليق عبد اللطيف عاشور.

5- سكرات الموت : السيد الجميلى.

6- سكرات الموت وعظة الموت وشدائده : مجدى محمد الشهاوى.

7- بعد الموت تبدأ الحياة فى عالم غير منظور : د. سمير الشناوى.

8- الحياة البرزخية من الموت إلى البعث : محمد عبد الظاهر خليفة .

9- من دلائل الإعجاز العلمي فى القرآن الكريم والسنة النبوية : د.موسى الخطيب.

10- الإعجاز العلمي فى القرآن الكريم : د. محمد السيد قرناؤوط.

11- التفكير فريضة إسلامية : عباس محمود العقاد.

12-

13- الحياة والموت : فضيلة الإمام محمد متولى الشعراوى.

14- التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة : تأليف شمس الدين أبى عبد الله القرطبى .

15- The Holy Quran Meanings : Translated by Abdullah Yusuf Ali

ترجمة معانى القرآن الكريم للإنجليزية : عبد الله يوسف على

15- Coma and Impaired Consciousness : Young، Ropper، Bolton

